

الهمداني... مؤرخ اليمن و فكره ***

الأكاديمي السوفيتي إغناطيوس يوليافتش كراتشكوفسكي من أكبر المتخصصين في الحضارة الإسلامية بجمعها. فقد أسهم هذا العلامة في كل فرع من فروعها بأبحاث ه العديدة التي بلغ عدد المطبوع منها وحده أربعمائة و ثمان و خمسين. و عندما وافاه الأجل في 24 يناير 1951م عن ثمانية و ستين عاما فقد الإتحاد السوفيتي في شخصه عالماً فذاً و أكبر مستعرب روسي لعهد. و تقديراً لمجهوده العلمي و خدمته الكبرى للعلم السوفيتي، فقد قرر مجلس وزراء ا لإتحاد السوفيتي بتاريخ 5 أبريل 1951م، و بريزيديوم أكاديمية العلوم السوفيتية بتاريخ 13 أبريل من نفس العام طبع (منتخبات آثار الأكاديمي أ . ي . كراتشكوفسكي). فظهرت في ستة أجزاء بين عامي 1955م - 1960م.

بالنسبة لتقييم هذا العالم لمؤرخنا الهمداني و فكره، و الذي سنفتتح بها هذه السلسلة من هذه الحلقات بمناسبة قيام المهرجان اليوبيلي للهمداني في صنعاء الشهر القادم، فقد أوجزناه وأستخرجناه من أحد أجزاء الستة التي ظهر تحت عنوان (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) و الذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم، و نشرته جامعة الدول العربية عام 1962م في قسمين كبيرين بلغت صفحاتهما (976) صفحة. و الجدير بالذكر أن تقييم العلامة كراتشكوفسكي قد تم أصلاً بالروسية في حوالي عام 1940م، و هذا بيّن في أنه لم يُشر مثلاً إلى نشر الأستاذ الخطيب للجزء العاشر من (الكليل) عام 1949م، و كذلك إلى نشر القاضي ا لأكوع للجزئين الأول و الثاني منه عام 1963م.

و سنقوم في كل حلقة من الحلقات القادمة بتقديم الخلاصة لتقييمات علماء و باحثين آخرين لفكر الهمداني و عبقرياته ظهرت بعد تقييم كراتشكوفسكي في الستينات و السبعينات و الثمانيات من هذا القرن كتلك التي مثلاً للأكوع و الحاسر و الحديثي و الصغيري و زيد.

تقييم العلامة إغناطيوس كراتشوفسكي (1940م):

و بين المجموعة الضخمة لمصنفات الجغرافيا الإقليمية التي ترجع إلى القرن العاشر الميلادي يجب أن نفرّد مكانة خاصة لمصنف يقف فريداً في نوعه هو (صفة جزيرة العرب) للهمداني الذي يعتبره أشبرنجر إلى جانب كتاب المقدسي أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافيا. و لم يكن هذا المؤلف معروفاً للعلم الأوربي قبل سنوات التسعينات من القرن الماضي، و هذا أمر قد حدث مراراً لعدد من كبار الكتاب العرب ممن جروا على أنفسهم ريبة أهل السنة في الأجيال التالية. هذا و مما زاد في تعقيد المسألة و في جهل المؤلفين المتأخرين بأن اسمه ورد في أشكال مختلفة. فهو الحسن بن أحمد الهمداني، و تدل النسبة على أنه من قبيلة همدان المعروفة في جنوب الجزيرة العربية.

و قد جرت النسبة إلى الخلط بينه و بين الفقيه الهمداني (بفتح الميم) و الذي أخذ نسبته من همدان بإيران. و قد وقع ضحية هذا اللبس علماء كبار منذ منتصف القرن الماضي، و مما ساعد على زيادة الغموض أنه كان يشار إليه أحياناً باسم جده ابن أبي الدمين، كما لُقّب أيضاً بإبن الحائك الذي أطلقه عليه فيما يظهر خصومه. و قد زج به في السجن و كان سبب الزج به فيه، كما تزعم الرواية، قصيدة هزلية في حق رسول الله، و لكن الراجح أن يكون السبب في ذلك دسائس أعدائه ضده.

و في مصنفاته ترتسم أمام ناظرينا شخصية فذة لوطني متحمس و عالم متعدد النواحي و شاعر. و قد مرّت بنا الإشارة إلى معرفته الواسعة في محيط الجغرافيا الفلكية. و هو لم يكن جغرافياً فحسب بل و خبيراً كبيراً بأنساب العرب و تاريخ الجزيرة العربية نفسها خاصة آثارها القديمة و هو أمر نادر بين العرب. و مما يدعو للدهشة حقاً أنه أستطاع أن يفك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوب الجزيرة. و يقف مصنفه (الإكليل) الذي يقع في عشرة أجزاء دليلاً ساطعاً على سعة معارفه. فقد أفرغ فيه جماع معرفته بالأنساب و التاريخ و الآثار بل و حتى بأدب الحميريين سكّان جنوب الجزيرة في القدم، و لم يكتف بكتابه بعرض المادة الأسطورية التي تجمعت في الأدب العربي بعد الإسلام بل بذل قصارى جهده ليقف منها موقف الناقد و ذلك على ضوء دراسته المباشرة للنقوش التاريخية. و إلى عهد قريب لم يعرف من كتابه هذا سوى الجزئين الثامن و العاشر و ذلك بفضل أبحاث مولر الذي يرجع إليه الفضل في التعريف بالهمداني في القرن التاسع عشر. و قد نشر و ترجم الآن الجزء الثامن بفضل مجهودات العلماء العرب ببغداد و أمريكا. أما الجزآن الأول و الثاني فقد كشف عنهما منذ وقت غير بعيد ببرلين المستشرق السويدي لوفجرين.

* تقديم الخلاصة لتقييمات ستة علماء وباحثين لفكر المؤرخ اليمني الهمداني وعبقرياته وهم:

1. البروفيسور أغناطيوس يوليافيتش كراتشوفسكي - روسي.

2. الشيخ العلامة حمد الجاسر - كويتي.

3. القاضي العلامة محمد علي الأكوع - يمني.

4. د. نزار الحديثي - عراقي.

5. الأستاذ محمود إبراهيم الصغير - يمني.

6. الأستاذ علي محمد زيد - يمني.

** نشر في صحيفة 14 أكتوبر على ست حلقات بتواريخ على التوالي: 28 سبتمبر، 5 أكتوبر، 12 أكتوبر، 19

أكتوبر، 26 أكتوبر، 2 نوفمبر.

*** نشر على حلقات في الإذاعة و الصحافة بمناسبة إنعقاد الندوة العلمية العالمية الألفية للمؤرخ اليمني

الهمداني في جامعة صنعاء عام 1981م.